PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(8): 839-849
ISSN: 1553-6939

Pragmatism… the use of language and the representation of the world

Dr. *Safia Derradji* [1 *]
[1:] **Abderrahmane Mira University of Bejaia. Algeria. safia.derradji@univ-bejaia.dz**
Received:08/07/2024 ،Published: 28/08/2024

ABSTRACT:

Language is the most essential tool for communication and interaction, revealing the world of ideas that resides within us, while portraying and representing reality.

The pragmatic approach, given its focus on interaction patterns and the study of the relationship between language and its users, is one of the most crucial methods for understanding the true function of linguistic signs. How they are used, their effects, and
their interactions. While also considering how language represents the world in light of its vitality and dynamism. It also considers how language represents the world in light of its vitality and dynamism.

The pragmatic approach focuses on the relationships that language establishes between individuals and groups for understanding, expression, and fulfilling desires, Thus, it serves a dual function: enabling communication and representing the world by leaving impressions that contribute to a historical record, capturing the present and past of humanity in various political, economic, and social interactions.

The role of language extends beyond these visible aspects, as representing the world fundamentally involves inferring intentions from the surface of discourse through an understanding of both textual and extratextual context.Therefore, to understand these complex processes, it is necessary to study the functions of language, the textual and non-textual context, intentions, the force embedded in actions, language games, and the various aspects that explain how language operates.
Keywords:
Pragmatism – Communication – Functions of language – Context –Intentions – Interaction and interaction

التداولية.. استعمال اللغة وتمثيل العالم

د. صافية دراجي [1]
[1] **جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، الجزائر، safia.derradji@univ-bejaia.dz**

الملخص:

اللغة أهم أداة للتواصل والتفاعل وكشف القناع عن عالم الأفكار الذي يسكننا مع تصوير الواقع وتمثيله.

والمنهج التداولي وبالنظر إلى اهتمامه بأنماط التعامل والتفاعل، ودراسة علاقة اللغة بمستعمليها، يعد من أهم المناهج التي تنظر في الوظيفة الحقيقية للعلامات اللغوية.. في كيفية استعمالها وتأثيرها وتفاعلاتها مع اهتمامها بطرائق تمثيل العالم بالنظر إلى واقع حيوية اللغة وديناميكيتها.

اهتم المنهج التداولي بالعلاقات التي تقيمها اللغة بين الأفراد والجماعات للتفاهم والتعبير وإشباع الرغبات، لتكون بذلك ذات وظيفة مزدوجة: تحقيق التواصل وتمثيل العالم بما تخلفه من انطباعات تسهم في أن تكون سجلا تاريخيا يصور حاضر الانسان وماضيه في مختلف أشكال تعاملاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كما أنه لا يتوقف دور اللغة في هذه المظاهر الظاهرة، إذ أن تصوير العالم يكون أساسا من خلال المقاصد المستشفة من ظاهر الخطاب من خلال الإحاطة بالسياق النصي والخارج النصي. فكان لزاما لفهم هذه العمليات المعقدة دراسة وظائف اللغة، والسياق النصي والخارج النصي، والمقاصد، والقوة المتضمنة في الفعل، والألعاب اللغوية ومختلف المظاهر التي تشرح كيفية اشتغال اللغة.

الكلمات المفتاحية:

التداولية – التواصل – وظائف اللغة – السياق – المقاصد– التعامل والتفاعل.

-توطئة:

إن تحليل الخطاب هو تحليل للغة في الاستعمال .كما يقول بذلك "براون ويول". فلا يمكن أن ينحصر النظر إلى اللغة بالوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيدا عن المقاصد ودون استخدامها داخل سياق محدد يفصح عن المجال المفاهيمي الذي تؤديه. فلقد أثبتت المناهج المحايثة محدوديتها في فهم معاني الخطاب.. هذا الخطاب الذي يعرف باعتباره رسالة في سياق.

وتحليل الخطاب لا يعني إخضاعه لتفسيرات وتأويلات عمياء مموهة تخترق المقاصد إلى معان لا تمت إليه بصلة. إذ ينبغي أن يتحكم السياق النصي في هذه التأويلات المحدودة بحدوده. وينبغي أمام عملية القراءة والتحليل الإحاطة الدقيقة بكل مكونات النص والنظر إلى اللغة باعتبارها ظاهرة تواصلية، خطابية، اجتماعية.

فأمام هذا التشويش في الطرح والفوضى في بعض الرؤى والاختلاف في زوايا الرؤى ظهرت مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات ومتفقة في أن اللغة هي نشاط يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد ويهدف على إقامة سلك من التواصل الإنساني كان دورها الإحاطة الدقيقة بمكونات النص وتنظر إلى اللغة باعتبارها أداة تعامل وتفاعل وتواصل تحقق وجودها من خلال السياق النصي والخارج النصي أي المقامي وتفهم العملية اللغوية من خلال فهم المقاصد وقد اجتمعت هذه الرؤى لتشكل الجهاز المفاهيمي لما ينعت بالمنهج التداولي.

- مفهوم التواصل ووظائف اللغة:

يطرح صاحبا كتاب "التداولية اليوم علم جديد في التواصل" "آن روبول وجاك موشلار" في محور مهم من الفصل الأول السؤال التالي: ما هي وظيفة اللغة؟

ويقران أن وظيفة اللغة تمثل موضوعا يثير دائما نقاشات جادة. فالبعض يعتقد أن للغة أولا وقبل كل شيء وظيفة اجتماعية، ففي رأيهم تستعمل اللغة لدعم العلاقات داخل المجموعات البشرية. ويعتقد البعض الآخر أن لها وظيفة معرفية ففي رأيهم تستعمل اللغة لتمثيل معلومات وتخزينها وإبلاغها[1].

ويرى علماء النفس أن اللغة هي الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، والتي يمكن بها تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا وأذهان غيرنا بواسطة تأليف كلمات ووصفها في تركيب خاص. فاللغة ترمز إلى نشاط المجتمع فوظيفتها تحقيق الوجود الاجتماعي للفرد فهي الإطار الاجتماعي لآراء الفرد. وظيفتها الأولى اجتماعية "وظيفة اللغة تكمن قبل كل شيء في إنشاء علاقات بين الأفراد والمجموعات والحفاظ عليها وهي وظيفة ليس للصدق فيها دور كبير"[2] إنها أداة التفاهم والتعبير ووسيلة الفهم والإفهام وإشباع الحاجات والمطالب وقد تتغير بالنسبة لغيرها من الوظائف التالية لها فالإنسان يتمكن بها من فهم أفكار غيره ورغباته وتفهيمه ما يدور بعقله من أحاسيس ومدركات. " اللغة تمكن من

[1] آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترج سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مرج لطيف زيتوني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت .لبنان، 2003، ص14.

[2] آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص109.

التعبير عن كل شيء وهي إلى حد ما شفافة من جهة ما تبلغه الجمل من رسائل وهي تكتفي بنفسها... فاللغة بمثابة الجوهر الذي يمكن للأفكار التي لا يتسنى نقلها مباشرة أن تصبح من خلاله قابلة للنقل بواسطة الجمل التي تعبر عنها"[1].

وهي اللغة نفسها التي يسرت فعليا الحياة الاجتماعية بين بني البشر من خلال ما تحققه من تفاعل ونظام وتطور لإستراتيجية الحياة والمعاملات ومختلف أشكال التعاملات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لولا وجود اللغة لانعدم التواصل ولما تحققت الدلالة. وكذلك العكس صحيح فاللغة لا تحقق ذاتها ووجودها وكينونتها إلا من خلال فعل التواصل. هذا التواصل الذي يحدده "**جاكبسون**" **R.Jakobson** بكونه يتعلق بنقل المعلومات والأفكار بين الأفراد والجماعات بوسائل عدة أهمها على الإطلاق اللغة ككيان إنساني واجتماعي يختزل إيرادات ومعارف هؤلاء الأفراد والجماعات، إذ أن اللغة تحقق وظيفتها في التواصل الشفاف كلما توفرت الظروف المناسبة لإتمام عملية الإبلاغ فيما يتعلق بالمحيط العام الذي ينتج الخطاب بكل حيثياته، فالتواصل أساس الاندماج الاجتماعي وأساس التصريح بالانتماء إلى ثقافة ما.

يعد "**كلود شانون**" Chanone من السباقين في محاولته لتحديد محور التواصل ولكن وبحكم تخصصه في الهندسة والاتصالات الهاتفية أنتج خطاطة وحيدة الاتجاه تنطلق من مصدر أصلي هو منبع الإرسالية إلى نقطة نهائية هي منتهى الاتصال، ولكن و لأن المعطيات الإنسانية تنتج وقائع إبلاغية وسيرورة تواصلية دورية بموجبها يتحول المرسل إلى متلق، والمتلقي إلى مرسل في خطاب تفاعلي، فإن خطاطة "**شانون**" هذه أثبتت محدوديتها وحدت فعاليتها.

ثم إن التواصل يتضمن تثبيت الدلالة، والدلالة لا يمكن أن تخلو من قصدية إبلاغية صريحة أو ضمنية أو مفترضة، والعلامات السيميائية تعبر بقوة من خلال تواجدها بالقوة، كما أنها تمثل أدوات تهدف إلى تحقيق التواصل بين المرسل والمتلقي ضمن دورة كلامية رسم حدودها "**سوسير**" **F.Desoussure** وأعاد بناءها "**جاكبسون**" معتمدا على خطاطة "**شانون**". ولكن "**جاكبسون**" حدد جوهر التواصل الإنساني (وليس الآلي)، في علاقته بالوظائف اللغوية الممكنة ورسم خطاطتها التي غدت مرجعا هاما للمتعاملين مع قانون تحليل الخطاب. على النحو التالي:

سياق

مرسل..... رسالة .....مرسل إليه

اتصال

فالمرسل كما يقول "**جاكبسون**" يوجه رسالة إلى المرسل إليه. ولكي تكون الرسالة فاعلة فإنها تقتضي سياقا تحيل عليه، وهذا السياق ينبغي أن يكون قابلا لأن يدركه المرسل إليه، إما أن يكون لفظيا أو قابلا لأن يكون كذلك، كما تقتضي الرسالة بعد ذلك سننا مشتركا كليا أو جزئيا بين المرسل والمرسل إليه، وتقتضي الرسالة أخيرا اتصالا أي قناة فيزيقية وربطا نفسيا بين المرسل والمرسل إليه. اتصالا يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه[2] ويحلل الدكتور "**تمام حسان**" هذه الأركان،

[1] المرجع نفسه، ص 19

[2] رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، تر محمد الولي ومبارك حنون، دط، دار طوبقال للنشر،الدار البيضاء، ص27.

وفق رؤية خاصة فيرى بأن السياق هو المقام، والرسالة هي النص أو العبارة، وقناة الاتصال هي المشافهة. على سبيل المثال. أما الشفرة فتحيل إلى المعنى المقصود [1].

-بين السياق والمقام:

لقد فرق محللو الخطاب والمتتبعون للمقاصد وجل المباحث التداولية بين السياق **CONTEXTE** والمقام **SITUATION** فهما ليسا بمدلول واحد. كما أقر بذاك "**تمام حسان**" في تحليله السابق. فقد عرف الدارسون المقام بقولهم أنه مجموعة من العوامل التي يتعين على الفرد الاحتفال بها حتى يوفق في إنجاز فعله اللغوي، ومن عناصره: المشاركون في التبليغ ومكان التفاعل ومقاصد المتكلمين، وهو بذلك يتلخص في مجموعة من الشروط الاجتماعية والتاريخية والعوامل غير اللسانية التي يتحدد بمقتضاها إنشاء عبارة أو عبارات في زمان ومكان ما، إنه يرتبط بشكل مباشر بالموضوع أو الفعل اللغوي، أو الوضع العام المرتبط بالكلام والذي إن غيبت عناصره لا يكون كلاما[2].

وحسب "**جورج مونان**" G.Mounin فإنه ينبغي تمييز السياق الذي هو لساني، عن المقام الذي هو الخبرة غير اللسانية، فنشير إلى قلم على الطاولة قائلين :أعطني إياه. ونكتب مقابل ذلك: أعطني القلم الذي على الطاولة، رادين المقام الغائب إلى السياق اللساني : فعبارة "الذي على الطاولة"، توضح السياق وتغني عنها الإشارة باليد أو غيرها في المقام، فالسياق ذو مفهوم لساني أما المقام فوضعي غير لساني[3]. في حين هناك رؤية أخرى ترى بأن المقام هو السياق وتقسمه إلى سياق نصي وسياق مقامي.

-الدورة التواصلية الجاكوبسونية:

ربط "**رومان جاكبسون**" في دورته الخطابية بين كل عنصر من عناصرها بوظيفة من وظائف اللغة، ما اتبع ستة وظائف تقابل ستة أركان من عناصر الدورة الخطابية الجاكوبسونية، وأكد أن كل نص وكل خطاب، تتفاعل فيه هذه الوظائف اللغوية وتظهر على الأقل وظيفتان، على أن تطغى وظيفة واحدة على بقية الوظائف. وهذه الوظائف هي:

1. الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية **Fonction Emotive**
2. الوظيفة الندائية أو الافهامية **Fonction Conative**
3. الوظيفة المرجعية **Fonction Référentielle**

[1] جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص15.

[2] خليفة بوجادي، خصائص التركيب اللغوي في ديوان بوابات النور. دراسة في الوظيفة التداولية، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2006، ص.ص 40، 41.

[3] المرجع نفسه، ص41.

4 . الوظيفة الانتباهية أو الاتصالية **Fonction Phatique**

5 . وظيفة ما وراء اللغة **Fonction Métalinguistique**

6 . الوظيفــة الشعريـــــــة **Fonction Poétique**

ولا يعني هذا أن الأثر الفني يكون خاليا من الوظائف الأخرى وأنه ينبغي أن يكون موقوفا على الوظيفة الشعرية، وإنما يعني أن الوظيفة الشعرية هي العليا.

لقد حضيت دورة الخطاب لـ"**جاكبسون**" ووظائفه اللغوية باهتمام كبير من قبل اللسانين والسميائيين والتداوليين، وفتحت للدارسين أفقا يتجاوزون من خلاله النظر إلى اللغة باعتبارها بنية النظام، إلى قيمه ووظائفه التداولية، فأصبحت تقاس الكفاية الاتصالية بالاستخدام الواعي للوظائف التداولية من طرف المتكلم، والذي يجعل منطوقه ناجحا في سياقه الاتصالي.

-شروط التواصل:

يقر المنهج التداولي أنه في كل خطاب توجد ركيزتين أساسيتين أثناء ممارسة التواصل وهما المرسل والمرسل إليه باتفاق وتواطؤ بينهما من جهة، وبين أفراد المجتمع من جهة أخرى، ويجب أن تعالج الملفوظات بمعلومات مستقاة من الواقع الخارجي. ولأن التداولية هي فن التأثير الفعال الذي يتناول الجانب الاستعمالي للغة في الطبقات المقامية المختلفة، فإنها تدرس هذه اللغة باعتبارها كلاما محددا يصدر عن متكلم، ويتوجه إلى مخاطب بلفظ محدد في مقام تواصلي لتحقيق غرض تواصلي محدد[1].

والهدف الأساسي من استخدام اللغة كما أسلفنا هو إيصال رسالة ما إلى شخص معين أو إلى مجموعة من الأشخاص، وتقتضي هذه الإرسالية بالضرورة حضور المرسل والمرسل إليه، ولا تتحقق وظيفة اللغة الإبلاغية إلا بهما، بالإضافة إلى وجود رسالة كتحقيق واقعي ملموس للتواصل القائم بين الطرفين. وشروط التواصل الحقيقية ينبغي أن تبنى على أساس تبادل الوظائف بين المرسل والمتلقي عبر الوضع نفسه، فيتحول المتلقي إلى مرسل، والمرسل إلى متلق خلال عملية الإرسال، علما بأن العملية الانعكاسية لا تتحقق إلا بتوفر عنصر القصد والمقاصد هي الركيزة المثلى في كل مقاربة تداولية .ونظرا إلى كون التداولية تقوم على البحث في المقاصد هناك من يقترح ترجمة المصطلح

la pragmatique بعلم المقاصد الذي يستلزم المعرفة من خلال الإحاطة بسياق المقام ولو كانت هذه المعرفة مضمرة[2] والبحث في المقاصد هو كذلك قراءة للبعد التواصلي في الخطاب اللغوي فالنظر في المقاصد هو بحث في الدلالة . أي المعنى ومعنى المعنى .وهذه الإستراتيجية هي بدورها بحث عن إستراتيجية التواصل في الخطابات البشرية كلها مهما كان نوعها وشكلها. فتمكن هذه الإحاطة من ربط مختلف الإشكاليات الواردة في الخطاب، والتي يقتضي الاستعمال اللغوي في تحليلها وفهمها وربط أجزائها المذكورة بصراحة في بنياتها الصغرى والكبرى والتي تختفي تحت لغة التلميح، والمعنى هو لغة وكلمات، بل ليس للمعنى وجود . كما يقول "**الغدامي**". إلا من خلال الكلمات المعبرة عنه، ولو أزيحت لأصبح عدما[3]. وإن كان البحث في هذا الإشكال قديم قدم الدراسات النقدية إلا أن سؤال علاقة اللغة بالمعنى يعود دائما فارضا سلطان الطرح أمام كل محاولة واقتراب لفهم اللغة

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب .دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005، ص26.

[2] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ص.ص40، 41.

[3] عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير .من البنيوية إلى التشريحية، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، 1985، ص70.

الإنسانية خاصة إن تعلق الأمر بالبحث عن المقاصد ومدى تحقق الانعكاسية في الخطابات. هذه الانعكاسية التي لا تتجسد في الكلام الشفهي فقط كفن للحوار بل حتى في الخطابات المكتوبة.

- التداولية.. استعمال اللغة داخل السياق:

أقدم ما ذهبت إليه النظريات في تحديد ماهية التداولية ما جاء به "**شارل موريس**" في أن التداولية هي مجال من السيميائية يتناول العلاقة بين العلامات ومستعملها ويعد هذا التعريف المؤسس بمثابة القالب الذي انصبت فيه التحديدات اللاحقة التي ترى أن اللغة باعتبارها نشاطا كلاميا تتحكم فيها مجموعة من الشروط الذاتية والموضوعية[1].

وقد تعددت تحديدات التداولية وإن انصبت كلها في معالجة العلاقة بين المتكلمين والسياق الذي يجري فيه الكلام. إلا أن اختلاف تصور وإدراك السياق جعل تلك التحديدات تختلف. فمنهم من يرى أن التداولية هي أقوال تتحول إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية بمجرد التلفظ بها. والسياق لدى أصحاب هذه النظرية له طابع خاص. ومنهم من يلخص التداولية في دراسة الآثار اللغوية التي تظهر من خلال الخطاب وتنظر في عنصر الذاتية للخطاب. ويشمل هذا التناول ضمائر الشخص ومبهمات الزمان والمكان.

وهناك اتجاه ينظر في الجانب الضمني والتلميحي من الكلام وكذا الحجاجي. والسياق يفرض على المتكلم احترام مجموعة من قوانين الخطاب أثناء مخاطبته لغيره.

هذه الاتجاهات الثلاث وإن كانت لا تشمل كل ما قيل عن التداولية إلا أنها تشكل الاتجاهات التي برزت مع الزمن وتداخلت فيما بينها وأعطت نتائج معتبرة كفيلة بمساعدتنا على فهم أفضل وأدق للغة[2].

يرى كل من "**روبول**" و"**جاك موشلار** أن التداولية هي مجال استعمال اللغة في التواصل والمعرفة[3]. فإذا كان التواصل هو تحقيق للدلالة والتعامل فإن المعرفة هي أكبر من ذلك وأوسع إنها تحقيق للتواصل على المدى البعيد. وكما يرى "**لايبنتز**" أن اللغات هي أحسن مرآة للفكر البشري.. وهكذا يضطر الإنسان وهو بإزاء تعقد العالم إلى استخدام نظام من الأدلة بقصد تمثيل الواقع الذي يحيط به وتذكر الأشياء والأحداث على نحو يسير[4].

يقول "**روبول وجاك موشلار**": " إننا لم نأخذ بعين الاعتبار كما ينبغي استعمال الناس للغة وكيفية استخدام الجمل للتعبير عن الأفكار واستعمال العبارات لنعين بها أشياء أو لنقول أمرا ما في شأنها. بل الأهم من هذا أننا لم نأخذ في الحسبان أيضا كيف يستند هذا الاستعمال إلى كمية ضخمة من المعارف حول الكون والتي يعتمد عليها المخاطبون ليستدلوا على ما يريد المتكلم (القائل) أن يقوله لهم[5]. والرؤية ذاتها يقر بها "فان دايك" في حديثه عن المعنى أو المقاصد التداولية المحكومة بالمعارف المسبقة حول العالم، فالبديهيات لا تحتاج منا إلى كبير عناء قصد فهمها، فمن منا لا يعلم أن لون الثلج أبيض وأن المطر عبارة

[1] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص8.

[2] ا عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص.ص 8 ،9.

[3] آن روبول. جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص9.

[4] الجلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترج محمد يحياتن، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص6.

[5] آن روبول. جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص.ص 13 ،14.

عن قطرات مائية تنزل من السماء إلى الأرض. إن مثل هذه المفاهيم مرتبطة بالمعرفة السابقة والنواميس الكونية التي تعودنا عليها كون العالم الذي نحياه عالم عادي.

هناك من يعرف التداوليـــة بقوله" :"إنها تخصص لســـاني يدرس كيفية استخدام النـاس للأدلة اللغويـــة في صلب أحاديثهم وخطاباتـــهم كما يعنى من جهـــة أخرى بكيفيـة تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث وبناء على ما تقدم يمكننا القول كذلك بأن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية أي ما يعرف بـ.Compétence de communication [1] .

ولخص الدكتور "**مسعود صحراوي**" مهام التداولية في النقاط التالية:

-دراسة "استعمال اللغة" التي لا تدرس "**البنية اللغوية**" ذاتها ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة أي باعتبارها "**كلاما محددا**" صادرا من "**متكلم محدد**" وموجها إلى "**مخاطب محدد**" بـ"**لفظ محدد**" في "**مقام تواصلي محدد**" لتحقيق "**غرض تواصلي محدد**".

*شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

*بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

*شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية في معالجة الملفوظات.

وعليه فإن بعض الدارسين يعولون على التداولية في تحقيق مجموعة من الرهانات أهمها كيف نصف الاستدلالات في عملية التواصل، علما بأن الاستدلالات التداولية غير معقلنة وربما كانت غير مقنعة في كثير من الأحيان؟[2].

-"فيتجنشتاين" وفلسفة الألعاب اللغوية:

وهناك من ينعتها بـ"**فلسفة اللغة العادية**"، وهي أولى الفلسفات التي اهتمت بالبعد التداولي في الممارسات اللغوية ولها الفضل في تطور بعض الرؤى التداولية التي جاءت بعدها.

يرى زعيمها "**فيتجنشتاين**" أنه لا ينبغي الخلط بين المعنى المحصل والمعنى المقدر ذلك أن هذا يعني الخلط بين الجملة والقول . فالجملة لها معنى مقدر، في حين أن الكلام له معنى محصل، والجملة بالنسبة إليه لا تتوفر على معنى مقدر إلا في الجملة التي تتلقى هذا من خلال شبكة من الجمل التي تتوفر على هذا المعنى من خلال النظام الذي تنضوي تحته[3]. وهنا إقرار آخر بدور السياق بمختلف أشكاله في فهم المعنى والدلالات. ويتمثل مسعى "**فتجنشتاين**" في شرح كيفية اشتغال الكلمات في التجربة وتبيان بأن درجة تعقد "الألعاب اللغوية" تتطور بتطور النشاطات الاجتماعية. وهكذا تشكل هذه الألعاب طرائق يتعلم الأطفال بواسطتها لغتهم الأم وكيفية الاندماج في المجتمع.

حسب "**فيتجنشتاين**" الخطاب ليس مجرد عملية تبليغية بين طرفين ضمن إطار زماني ومكاني، ولا هو أفعال كلامية تتحقق وفق نسق قانوني معين، إنما هو لعبة تضبطها قواعد محددة ترتبط مباشرة بكل فعل من أفعال الحياة[4]. فيربط هذا

[1] الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص1.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص.ص 26،27 .

[3] الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص18.

[4] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص10.

الفيلسوف اللغوي بين النشاط اللغوي والنشاط الاجتماعي مقرا بالبعد النفعي للغة أو ما يسمونه الذرائعي.. فالبعد التداولي عند "**فتجنشتاين**" يحمل بعدا تعامليا وذرائعيا. إنه يرفض أن يكون التواصل هو مجرد استعمال للغة بين طرفين ضمن سياق محدد وضمن سلك من الأفعال الكلامية محكومة بنسق قانوني.

واللافت للنظر أن الفيلسوف لا يضع حدودا بين النشاط اللغوي والحياة الاجتماعية وتعلم اللغة الأم. ذلك أن اللعبة اللغوية تعني في نظر الفيلسوف الممارسة اللغوية وشكلا من أشكال الحياة وهذا التصور يفضي إلى نظرة أكثر إنسانية للغة[1]. إنه يغفل تماما أشكال التواصل اللاإنساني كالتواصل الآلي مثلا، وكذا التواصل الذي يقتصر على إعطاء معارف فقط كالمعلوماتي دون أن تكون هناك انعكاسية في الخطاب.

ألعاب اللغة إذن هو مصطلح يراد به الصيغة المؤسساتية للغة أثناء الاستعمال فعندما نتكلم نكون قد أخضعنا كلامنا لمجموعة من القوانين الضمنية . تجعلنا نميز بها الكلام السوي عن غيره وهذا يفسر ما اصطلح عليه بعضهم باستراتيجيات الخطاب فلكل من أطراف الخطاب أسلوبه الخاص في مقابلة الطرف الآخر في الحديث.

-"أوستين" و"سورل" ونظرية الفعل اللغوي:

ظهرت نظرية الأفعال الكلامية في أحضان فلسفة اللغة العادية مشيرين إلى أن تراث "فيتجنشتاين" لم يكتسب مكانته الحقيقية إلا بعدما تبناه فلاسفة مدرسة أوكسفورد ولاسيما "**أوستين**" في كتابه: "**عندما يتحول القول إلى فعل**" وتلميذه "**سيرل**" في دراسته: "**القوى المتضمنة في القول**"[2].

يجمع بين الفلاسفة "**فيتجنشتاين**" و"**أوستين**" و"**سيرل**" و"**هوسرل**" و"**كارناب**" مسلمة عامة مشتركة مفادها أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر له عن هذا الفهم. وتلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها. ذلك أن فلسفة عصرنا وخلافا للعصور السابقة يوحد بينها اهتمام مشترك باللغة، إلى حد أن جميع مسائل الفلسفة . حتى تلك المتوارثة عن الماضي . تجري مناقشتها بصورة واضحة أو غير واضحة عبر مصطلحات وإجراءات لغوية[3].

أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، فحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد) وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما.[4]

يرفض "**أوستين**" ثنائية الصدق والكذب بالنسبة لجمل الإثبات التي وضعها المناطقة. ويلاحظ أولا بأن هناك جملا ذوات بنية مشابهة لجمل الإثبات، ويخلص إلى وجود جمل وصفية إثباتية او تقريرية يمكن أن تكون كاذبة أو صادقة وجمل ذوات نمط

[1] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص20.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، ص.ص 23، 24.

[3] ا مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب ، ص21.

[4] المرجع نفسه، ص40.

خاص لا يمكن أن يجري عليها هذا المعيار إذ إن خاصيتها تكمن في أننا عندما نتلفظ بها ننجز في الوقت ذاته أعمالا وهذه الأقوال قد تنجح وقد تخفق وهي تستجيب لمقتضى الحال. ويسمي "أوستين" هذه الأقوال بالأفعال الإنشائية وهي الأفعال التي يعني التلفظ بها انجاز عمل[1].

إن الكلام باعتباره فعلا متحققا في الواقع لا ينفصل عن المؤسسة. إن مجرد نطق المتكلم بصيغة الأمر يضفي على نفسه مرتبة الآمر فيضع غيره في مرتبة المأمور ولتحقق ذلك لابد من أن تتوفر شروط محددة وهي شروط خاضعة لأعراف كل لغة[2].

وتستدعينا التداولية بغية الإجابة عن هذه الأسئلة إلى استحضار مقاصدنا وأفعال لغتنا وسياق تبادلاتنا الرمزية والبعد التداولي لهدف اللغة المستعملة.كما تقول بذلك "**فرنسواز أرمينيكو**". لذلك وجد مفهوم الفعل ومفهوم السياق ومفهوم الإنجاز في التداولية كمقاييس ومؤشرات على اتجاهات النص الأدبي في النظرية النقدية[3].

"إن نظرية الأفعال اللغوية تعد دراسة نسقية للعلاقة بين العلامات ومؤوليها. ويتعلق الأمر بمعرفة ما يقوم به مستعملوا التأويل وأي فعل ينجزون باستعمالهم لبعض العلامات"[4].

وإذا كان زعيم أكسفورد "**أوستين**" قد ركز على الأفعال اللغوية المباشرة وجمعها في لائحة: (أكد، وضع سؤالا، أعطى أمرا، وصف، اعتذر، هدد، ترجى، تحدى، رخص) وهي مجموعة من الأفعال الإنجازية تتحقق من خلال كلامنا، وعرف "**أوستين**" بعض الأفعال الإنجازية من خلال القواعد العامة للغة، بينما يبقى البعض الآخر منها في حاجة إلى تحقيق بعض الشروط الخارج لسانية والتي مازالت عرفية كالشروط المؤسساتية ذات الأبعاد الاجتماعية[5] .

أما "**سيرل**" فقد استفاد من دروس أستاذه "**أوستين**" مقترحا بعد ذلك بعض التعديلات مطورا نظرية الأفعال اللغوية. كما ألح على انقسام الفعل اللغوي والطابع الخاص الذي تنطوي عليه بعض الأفعال المسماة بالأفعال "**غير المباشرة**"[6].

يتمثل الإسهام الثاني لـ"**سيرل**" في تحديده للشروط التي بمقتضاها يكلل عمل متضمن في القول بالنجاح فيميز بين القواعد التحضيرية ذات الصلة بمقام التواصل (يتحدث المتخاطبون اللغة نفسها ويتحدثون بنزاهة[7].

يقصي "**أوستين**" و"**سيرل**" من مجال الأعمال المتضمنة في القول الجمل الواردة في خطاب "غير نزيه" كالخطاب التخييلي على سبيل المثال.

إن الوظيفة الاجتماعية للأفعال غير المباشرة أساسية، فكما يقول "دوروتي فرنك" إنه يمكن أن تتوفر الأفعال غير المباشرة على الوظائف التالية: تحاشي المحاورات، التحايل على حواجز غير مرغوب فيها وتفادي مطلب غير مبرر (أو تخف ما)

[1] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص22.

[2] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص.ص9 ،10.

[3] فرنسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص5.

[4] المرجع نفسه، ص 60.

[5] ، المرجع نفسه، ص.ص 60، 61.

[6] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص25.

[7] آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص34.

لمنزلة ما أو حق ما وخلق إمكانات واسعة للذات وللطرف الثاني تمكن من الاهتداء إلى مخرج. وهذه العمليات هي في الغالب أشكال لبروز الكياسة بمعناه الواسع أي لبروز تكتيكات تحمي الفاعل الاجتماعي[1]

المرسل يصيغ الخطاب عن طريق مفتاح معين وعلى المتلقي أن يستعمل المفتاح نفسه لتأويل ذلك الخطاب ويعمل بالتالي على تشكيل المحتوى الأول وهكذا ويشن "**بنفنست**" حربا ضد القائلين بأن اللغة هي وسيلة التواصل ليس إلا فيقول إن الذين يزعمون إن اللغة هي وسيلة يتصورون أنه الوسيلة الوحيدة والأكثر فعالية للتواصل فهي تمكننا من أن نأمر أو نطرح سؤالا أو نقوم بإعلان وهذا ما يجعل استجابة المخاطب دائما مطابقة، وهذا في ذاته تصور سلوكي للغة وهو الذي يؤدي بنا إلى القول إن اللغة هي وسيلة[2].

النظر إلى اللغة على أنها وسيلة يستلزم أن الإنسان جاء سابقا للغة ولكن المنطق يثبت لنا عكس ذلك، إذ إن الإنسان لم يدرك نفسه ولم يدرك العالم إلا بها.. إن الذات الإنسانية تتشكل في اللغة وبواسطة اللغة فلا يمكن إدراك الأنا خارج اللغة[3].

إن أية نظرية لتأويل الأقوال أو بالأحرى أية نظرية تداولية حتى تضطلع بدور ما في العلوم المعرفية من خلال تعاونها مع اللسانيات وعلم النفس المعرفي على سبيل المثال للتوصل إلى نتائج في مجال الذكاء الاصطناعي ينبغي أن يستوفي الشروط التالية:

* ينبغي عليها أن تكون وظيفية وتمثيلية.

*ينبغي عليها أن توضح عمليات التأويل التي تنص عليها.

*أن تذكر لنا كيف نحصل على المعلومات الجديدة أي ينبغي أن تعالج العلاقة بين الإدراك والتمثلات الرمزية[4].

ظاهرة الأفعال الكلامية نشأت في مناخ فكري عام ميزته أنه ولى ظهره للميتافيزيقا وانفتح على اللغة دراسة وفهما وتوضيحا فأسهمت إسهاما معمقا في دراسة ظواهر دلالية وتداولية كانت مهملة أو مهمشة[5].

وهكذا فالتداولية وإن لم تكن نظرية كاملة إلا انه تسعى لأن تكون كذلك ويكفي اجتهادها محاولتها فهم اللغة في سلك الفاعل وفهم المقاصد الضمنية وكيفية اشتغال الدلالات، وعليه فهي ليست أبدا سلة مهملات تضم إليها فائض المقاربات التي لم تجد لها حلا.

[1] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص31.

[2] آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 36.

[3] المرجع نفسه، ص.ص 36، 37.

[4] آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص66.

[5] المرجع نفسه، ص 24.

- **قائمة المصادروالمراجع:**

1- أرمنيكو (فرنسواز) : المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، دط، مركز الإنماء القومي، الرباط.

2-آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترج سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مرج لطيف زيتوني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت .لبنان، 2003.

3-الجلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترج محمد يحياتن، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر

4-جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

5-رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، تر محمد الولي ومبارك حنون، دط، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء

6-عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير .من البنيوية إلى التشريحية، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، 1985.

7- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003.

8-مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب . دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005.